# رِحْلَةُ فُقَهَاءِ بِلادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ إِلَى مِصْرَ خِلَالَ الْقُرُونِ الْأَرْبَعَةِ الْأُولَى لِلْهِجْرَةِ

## [٨٦ ــ ٤٠٠هـ / ٧٠٥ ــ ١٠٠٩م]

إِعْدادُ:

**د. مَحْمُودُ مُحَمَّدِ السَّيِّد عَلِيّ خَلَفِ**

بَاْحِثٌ فَي التَّارِيْخِ الإِسْلاَمِيِّ ـ جَامِعةُ الْأَزْهَرِ بالْقَاهِرَةِ.

# مُلْخَّصُ الْبَحْثِ

يتناول هذا البحث "رحلة فقهاء بلاد ما وراء النهر إلى مصر، خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة". وقد قسمتُ هذا البحث إلى تمهيد وأربعة مباحث رئيسة وخاتمة، تحدثتُ في المبحث الأول عن فقهاء الأحناف الذين رحلوا إلى مصر، فعرفتُ بهم، وبأشهر شيوخهم وتلامذتهم وأهم مُصَنَّفاتهم. وفي المبحث الثاني: تحدثتُ عن فقهاء المالكية الذين جمعوا في رحلتهم العلمية بين مصر وبلاد ما وراء النهر، ويأتي في مقدمتهم الإمام أبي بكر الفريابي [ ٢٠٧ – ٣٠١ هـ / ٨٢٢ – ٩١٣ م ]. وفي المبحث الثالث: تناولتُ بالتفصيل جهود فقهاء الشافعية في تنشيط الرحلة العلمية إلى مصر. وفي المبحث الرابع والأخير: تناولتُ أشهر فقهاء الحنابلة الذين رحلوا إلى مصر، مثل: أبي الحسن الترمذي [المتوفى عام: ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ]، وأبي إسماعيل الترمذي [ المتوفى عام: ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ]. الخاتمة: تناولتُ فيها عرض لأهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال هذا البحث.

# المقدمة

**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وبعد:**

**فإن من أهم ما يميز طلاب العلم في الإسلام، رحلتهم العلمية من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر في سبيل طلب العلم، غير مبالين ما يعترضهم من مشقة وفقر، مع ما في السفر إذ ذاك من صعاب.**

**وكان المحدثون ـ والحق يقال ـ أنشط الناس لرحيل، وأصبرهم على عناء. وكما رحل علماء اللغة إلى البادية يقيدون اللغة والأدب، ورحل الأدباء إلى نواحي الدولة الإسلامية يأخذون عن أدبائها، ورحل طلاب الفلسفة إلى القسطنطينية وغيرها في طلب كتب العلم، كذلك كان شأن الفقهاء الذين رحلوا للأخذ عن علماء مذهبهم. فكانوا يجمعون ما تفرق من الأحكام، وكان باعثهم الديني يذلل كل عقبة، ويسهل كل مشقة.**

**والواقع أن مصر قد شهدت نشاطًا علميًا بارزًا، نهض به علماء مصريون، وصارت مصر مركزًا لاجتذاب العلماء والطلاب من الأقطار المجاورة، من بلاد المغرب والأندلس تارة، ومن بلاد المشرق الإسلامي ـ ويأتي في مقدمتها بلاد ما وراء النهر ـ تارة أخرى.**

**والمقصود ببلاد ما وراء النهر: تلكم المناطق الخصبة السهلة الواقعة بين نهري سَيْحَون – سِرْ دِرْيَا حاليًا – وجَيْحَون – أَمُّوْ دِرْيَا حاليًا – اللذين يصبان في بحيرة خوارزم – بحر أورال حاليًا، والشاطئ الأيسر لنهر سَيْحَون، ويشتمل: طَخَارِسَتان والخُتَّل – وهذه البلاد أطلق عليها المسلمون قديمًا بلاد ما وراء النهر، وتعرف حاليًا بدول آسيا الوسطي(وهى: كازاخستان، أوزبكستان، قيرغيزستان، طاجكستان، تركمانستان)، وإن كانت جمهورية أوزبكستان المستقلة**

عن الاتحاد السوفيتي – السابق – في الثامن من ديسمبر (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) تشغل الحيز الأكبر منها.

ومن الجدير بالذكر، أن هذه البلاد قد فتحها القائد المُظَّفر قتيبة بن مسلم الباهلي[ ٤٦-٩٦ هـ / ٦٦٩ – ٧١٥ م] في خلافة الوليد بن عبد الملك [ ٨٦ – ٩٦ هـ / ٧٠٥ – ٧١٥ م]، ونجحت الدولة الأموية في نشر الإسلام بين سكانها. كما نجحت الدولة العباسية في تعميق انتشار الإسلام في هذه البلاد حتى أخذت طابعًا إسلاميًا واضحًا خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأصبحت بلاد ما وراء النهر جزءًا من كيان الدولة الإسلامية(١).

وهذا البحث يلقي الضوء على "رحلة فقهاء بلاد ما وراء النهر إلى مصر، خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة"، وترجع أهمية هذه الدراسة لعدة اعتبارات مهمة، وهى:

أولاً: إن في الرحلة فائدة علمية كبيرة للعالِم ولطالب العلم. أما العالِم فيزداد علمًا إلى علمه وينشر علمه بين الناس، وأما بالنسبة لطالب العلم فإنه يزداد ثقافة ومعرفة وكثرة في منابع الثقافة والحضارة. هذا، وقد كانت الرحلة العلمية معروفة لدى المسلمين الأوائل منذ فجر الإسلام ثم في عهد الصحابة (رضي الله عنهم) حيث كانوا يرحلون المسافات الواسعة لزيادة العلم والمعرفة. وفي العهود التي تلت عهد الصحابة (رضي الله عنهم) في القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين وبعدهما، ازدادت الرحلة

(١) خلف، محمود محمد، بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٤م، ص١٥.

**في طلب الحديث والسُنَّن والأحكام الشرعية وسائر العلوم الدينية. وهكذا عَرف سلفنا أهمية الرحلة فركبوا المركب الصعب وتحملوا قسوة الحياة حتى كان الواحد منهم يُعرف بنسبه إلى عدة بلاد، فيقال: البغدادي ثم المكي ثم الشامي. وذلك لأنه رحل إلى هذه البلاد وروى عن شيوخها.**

**ثانيًا: الرغبة في ربط الماضي بالحاضر، وتذكير الشعب الأوزبكي بتاريخه الإسلامي المجيد. وأنه جزء من العالم الإسلامي، ولابد من الوصول إلى أقصى درجات التعاون معه. يقول العلامة ابن خلدون عن عروبة علماء ما وراء النهر: "فإن عرض لك ما تسمعه من أن سيبويه والفارسي والزمخشري وأمثالهم من فرسان الكلام [ وسائر العلماء] كانوا أعجامًا مع حصول هذه الملكة لهم، فاعلم أن أولئك القوم الذين نسمع عنهم إنما كانوا عجمًا في نسبهم فقط، أما المربى والنشأة فكانت بين أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها"(١).**

**ثالثًا: اهتمام جمهورية أوزبكستان بدراسة تراث علمائها الأجلاء بجانب ما تبذله من مجهود من أجل إعادة بناء وترميم الآثار الإسلامية هناك. ومن أجل هذا المجهود، تم اختيار مدينة طشقند من قبل منظمة"isesco""المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة"، عاصمة للثقافة الإسلامية في عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، وذلك تقديرًا للنهضة**

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق على عبد الواحد، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، جـ ٣، ص ١١٥٠.

الثقافية التي تشهدها أوزبكستان وعاصمتها، والدور الذي قام به الشعب الأوزبكي في خدمة الثقافة الإسلامية والحفاظ على أصالتها ودفعها نحو المزيد من الرقي والتقدم.

رابعًا: إن كلا البلدين قد ازدهرت فيه الحياة العلمية. فإن كانت بلاد ما وراء النهر وارثة علوم إقليم خراسان، فإن مصر هي وارثة علوم المشرق الإسلامي كله. لذا كان من الطبيعي أن يجمع الفقهاء في رحلتهم بين البلدين. يقول العلامة ابن خلدون: "واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة. ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وإيوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع، وبقى بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هناك من حضارة بالدولة التي فيها، فلهم بذلك حصة من العلوم والصنائع لا تنكر"(١).

وفي الختام، لا أدعي الكمال في هذا البحث؛ ولكنها مجرد دراسة لتاريخ العلاقات الثقافية بين مصر وبلاد ما وراء النهر خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة، موضحًا دور الفقهاء في إثراء الحياة العلمية بين البلدين. وَآخِرُ دَعْوَانَّا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) المقدمة، جـ٣، ص ١١٢٤.

# التمهيد

**يعد الفقه من أبرز فروع العلوم الدينية التي اشتغل بها المسلمون، فقد احتيج إليه لتسيير شؤون المسلمين، ووضع الضوابط الحكيمة بين الرعايا في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم الدينية(١).**

**ويُعَّرف الفقه لغة، بأنه: الفهم مطلقًا. سواء كان المفهوم دقيقًا أم غير دقيق، وسواء كان غرضًا لمتكلم أم غيره. وفي الاصطلاح، هو: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية(٢).**

**ويعرفه ابن خلدون بقوله: "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاه من الكتاب والسُّنَّة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه(٣).**

**هذا، ويعد العصر الذي عاش فيه الرسول (ﷺ) هو عصر التشريع حقًا، ففي هذا العصر كان ينزل القرآن الكريم بالأحكام الشرعية، وتصدر عن النبي (ﷺ) الأحاديث المُبَيِّنة لما يعرض من الحوادث(٤). وفي عصر الخلفاء الراشدين اتسعت الفتوحات الإسلامية، واستجدت كثير من الحوادث التي لم تكن معروفة من قبل. ومن ثم ازدادت الحاجة إلى الفقه.**

---

(١) محمد، صفي علي، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٩٣.

(٢) الشيخ، عبد الفتاح حسيني، تاريخ التشريع الإسلامي، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٠ - ١١.

(٣) المقدمة، جـ ٣، ص ٩٤٧.

(٤) أمين، أحمد، فجر الإسلام، القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٦٤م، ص ٢٢٧.

**وكان من أعظم المشتغلين بذلك الخليفة عمر بن الخطابﷺ[١٣ ـ ٢٣ هـ / ٦٣٤ ـ ٦٤٤ م ]. ثم ازدهر علم الفقه في ظل الدولة الأموية [٤١ ـ١٣٢ هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠ م] وظهر كثير من الفقهاء العظام الذين مهدوا لظهور المذاهب الفقهية في عصر الدولة العباسية.**

**وكانت مصادر التشريع تتمثل في: القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، والإجماع، والقياس.**

- **المدخل التاريخي:**

**منذ الفتح الإسلامي لمصر ازدهرت أحوالها وعمها الرخاء، وأمن أهلها، ولم يعد يشكون من ثقل الضرائب الملقاة على أكتافهم. ومن هذا المنطلق اعتبرت مصر عمرًا بن العاصﷺ منقذًا وفاتحًا.**

**وما لبث عمرو بن العاصﷺ أن غرس بذور الحضارة الإسلامية في مصر وبسط جناح الإسلام في أرجائها. فأسس عاصمة جديدة للبلاد هي الفسطاط[١].**

(١) بعد أن تم لعمرو بن العاصﷺ فتح الإسكندرية وإجلاء الروم عنها وطردهم من مصر، أراد أن يجعلها مقرًا لولايته لما فيها من عمران وأبنية، ولكن الخليفة عمر بن الخطابﷺ رفض هذه الفكرة، مخافة أن يحول ماء نهر النيل بينه وبين المسلمين. واستقر رأي المسلمين على المنطقة التي حول جامع عمرو بن العاص حاليًا، وتمتد شرقًا حتى قرب سفح جبل المقطم، وشمالًا حتى جهة فم الخليج وقناطر السباع وجبل يشكر، وغربًا حتى نهر النيل، وجنوبًا حتى ساحل أثر النبي. ولما عزم عمرو بن العاصﷺ على تخطيط الفسطاط، ولى الخطط أربعة من قواد المسلمين، ففصلوا بين القبائل، وأنزلوا الناس منازلهم، فاختطوا الخطط ثم بنوا الدور والمساجد، ومن ثم فقد عرفت كل خِطة بالقبيلة أو الجماعة التي اختطتها، أو بصاحبها الذي اختطها. وقد ظلت مدينة الفسطاط عاصمة لمصر ومقرًا للإمارة حتى بنيت مدينة العسكر سنة( ١٣٢هـ/ ٧٤٩م ) فنزل فيها أمراء مصر وسكنوها. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم =

**وشيد أول جامع بمصر[1]، والذي أصبح منارًا ساطعًا للعلم والثقافة.**

**بدأت الحركة العلمية في بداية عصر الولاة [٢١ ـ ٢٥٤هـ/ ٦٤١ ـ ٨٦٨م] على أساس الدين، ونهض بهذه الحركة في بادئ الأمر الصحابة الذين وفدوا إلى مصر أثناء الفتح الإسلامي وبعده فأخذوا يعلمون المصريين أمور دينهم. وبمرور الزمن وجدت في مصر طبقة من العلماء أخذوا عن الصحابة والتابعين وعن تابعيهم.**

**وقد ظهر في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، مذهب أبي حنيفة النعمان (المتوفى سنة: ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) ومالك بن أنس (المتوفى سنة:**

---

= عامر، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م، ص ١٧١، ياقوت، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م، جـ٤، ص ٢٦٢، المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٦ م، جـ١، ص٣٧٣، ابن تغرى بردى، يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ب. ت، جـ١، ص٦٥، القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٦م، جـ٣، ص٣٣١.

(١) جامع عمرو بن العاص: هذا الجامع بمدينة الفسطاط: يقال له تاج الجوامح، أو الجامع العتيق. شرع عمرو بن العاص في بناءه بعد بناء مدينة الفسطاط، وهو أول جامع بني في مصر، وكان طوله أولاً نحو خمسين ذراعًا في عرض ثلاثين ذراعًا، وحدد قبلته ثمانين من صحابة الرسولﷺ، المقريزي، الخطط، جـ٤، ص ٤-٢٠، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ ــ ١٩٨٨م، جـ٢، ص٢٠٩، سامح، كمال الدين، العمارة الإسلامية في مصر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م، ص٤، شلبي، أبو زيد، تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٦م، ص ٢٤٢-٢٤٣.

١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، فانحاز إلى كل مذهب فريق من المسلمين. وكذلك كان الحال في مصر، فقد انقسم المصريون قسمين، قسم تبع مذهب أبي حنيفة، وآخر تبع مذهب مالك، وحدث بين أتباع المذهبين نزاع ونقاش، حتى وفد على مصر الإمام محمد بن إدريس الشافعي (المتوفى سنة: ٢٠٤هـ/ ٨١٩م).

وهنا نلاحظ أن المذهبين المالكي والشافعي قد أصبحا متعادلين في مصر، أما المذهب الحنفي فكان أقل شأنًا منهما ولو أن الخلافة العباسية كانت تؤيده، في حين لم يكن للمذهب الحنبلي أو المذاهب السنية الأخرى أهمية كبيرة في مصر الإسلامية.

● الدولة الطولونية في مصر (٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ ـ ٩٠٥م):

سقطت الدولة الأموية في سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، وقامت على أنقاضها الدولة العباسية التي امتد حكمها خمسة قرون. وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم الدولة العباسية إلى عصرين متميزين، العصر العباسي الأول، وقد استمر مائة عام ( ١٣٢ ـ ٢٣٢هـ/ ٧٤٩ ـ ٨٤٧م)، وتميزت فيه الدولة العباسية بالقوة، وكانت حكومة بغداد[1] حكومة مركزية، والخليفة يحكم دولته حكمًا مطلقًا. أما العصر العباسي الثاني ( ٢٣٢ ـ ٦٥٦هـ/ ٨٤٧ ـ ١٢٥٨م)، فمن أهم مميزاته أن الخليفة العباسي لم يعد صاحب السلطة المطلقة، بل انقسمت الدولة إلى دول مستقلة تخضع للخليفة العباسي خضوعًا اسميًا.

وفي هذا العصر استفحل نفوذ الأتراك، واستبدوا بالسلطة دون

(١) بغداد: مدينة السلام عاصمة العراق حاليًا. ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص ٤٥٦.

**الخلفاء العباسيين. وفي تلك الفترة كان الخلفاء يولون حكم مصر لبعض الأتراك، لكن هؤلاء كانوا لا يفضلون الابتعاد عن بغداد، خشية إبعادهم عن مسرح الأحداث السياسية، ويكتفون بإرسال مَن ينوب عنهم في حكم مصر. ومن هؤلاء النواب الذين قدموا إلى مصر سنة ( ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م) أحمد بن طولون. الذي نجح في تأسيس أول دولة مستقلة في مصر حكمتها ثمانية وثلاثين عامًا، انتعشت فيها البلاد، وانتشر في ربوعها الأمن والاستقرار والرخاء، وازدهرت أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية. لذا فقد نبغ في عهد الدولة الطولونية عدد كبير من الفقهاء.**

**● الدولة الإخشيدية في مصر (٣٢٣ ـ ٣٥٨هـ/ ٩٣٥ ـ ٩٦٩م):**

**ينسب الإخشيديون إلى محمد بن طغج الإخشيد، من أولاد ملوك فرغانة[1] في بلاد ما وراء النهر. اتصل محمد بن طغج بخدمة أبي منصور تكين والي مصر، وشاركه في قتال الفاطميين أثناء المحاولات التي قاموا بها**

(١) فَرْغَانة: مدينة واسعة ببلاد ما وراء النهر، كثيرة الخيرات تَبعُد عن سمرقند بنحو خمسين فرسخًا، يرجع بناؤها إلى الملك كسرى أنوشروان. وتمتاز بأن الجبال والصحاري تحيط بها من جميع الجهات، ومع ذلك فالمصادر تجمع على أنها ذات نعم وفيرة، ومياه جاريه، وضياع كثيرة. وفي العصر الحديث وبالتحديد في عام ١٨٧٦م وقعت فرغانة تحت الاحتلال الروسي، وأطلق عليه [خُانية خُوقند]. وبعد الثورة الروسية، أعادت إليها الحكومة الروسية رسميًا اسمها القديم فرغانة، والتي مازالت تعرف به حتى اليوم. ياقوت، معجم البلدان، جـ٣، ص٧٠، لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، بيروت: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص٤٨٦.

لفتح مصر، وأبدى شجاعة في الحروب التي خاضها ضدهم، واستطاع بذلك أن يحوز ثقة الخلافة العباسية وتقديرها، فكافأه الخليفة الراضي بأن ولاه حكم مصر سنة (٣٢٣هـ/ ٩٣٥م)، وبذلك قامت الدولة الإخشيدية التي قدر لها أن تحكم مصر نحو أربعة وثلاثين عامًا.

شهدت مصر في عصر الدولة الإخشيدية ـ رغم قصره ـ نشاطًا مزدهرًا في ميادين الآداب والعلوم. فقد تميز عهد الإخشيديين بظهور عدد من أعلام الفقه من أبناء مصر كان لهم نشاطٌ ملحوظٌ في مجال إثراء الحركة العلمية.

## المبحث الأول: فقهاء الأحناف

**الأحناف: نسبة إلى أبي حنيفة، النعمان بن ثابت، الكوفي [٨٠ ـ ١٥٠ هـ / ٦٩٩ ـ ٧٦٧ م]، توفى ببغداد. اتسع فقه الأحناف وتضخم بمرور الوقت، وقد ساعد على ذلك عدم تقييده بالواقع، بل أفتى في مسائل فرضها وقدر وقوعها(١). وقد انتشر هذا المذهب بالعراق، والهند، والصين، وبلاد ما وراء النهر، وبلاد العجم كلها كما يقول ابن خلدون(٢). ثم صار مذهبًا شعبيًا عند الناس كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة(٣).**

**ولنبدأ بأول وأقدم فقيه حنفي دخل مصر في عصر الولاة، إنه: الإمام إبراهيم بن معقل بن محمد بن الحجاج بن خداش، المكني بأبي إسحاق النسفي. كانت له رحلة طويلة في طلب العلم، فدخل دمشق(٤)، وبغداد، ومصر(٥)، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي. وسمع من كبار علماء هذه البلدان. روي كتاب "الجامع الصحيح "عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري(٦)، قال الذهبي: "كانت له رحلة واسعة"(٧).**

---

(١) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، جـ ٢، ص ١٧٧. عبد الفتاح الشيخ، تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٣٢٢.

(٢) المقدمة، جـ ٣، ص ٩٤٩.

(٣) أبو زهرة، محمد محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٦م، ص ١٦٧.

(٤) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، بيروت: دار الفكر، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، جـ ٧، ص ٢٢٥.

(٥) الغزي، تقي الدين بن عبد القادر، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، جـ ١، ص ١٥١.

(٦) اليافعي، عبد الله بن سعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، جـ ٢، ص ١٦٧.

(٧) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة =

**طلب الإمام إبراهيم الفقه الحنفي وبرز فيه، وتولى قضاء نسف[١]، وحسنت سيرته، واستفاد الناس من علمه وفقهه. قال الذهبي: "ثقة، حافظ"[٢]. ووصفه المؤرخ المُسْتَغْفِريّ ـ في كتابه المفقود ـ "تاريخ نسف" بقوله: "كان فقيهًا حافظًا بصيرًا باختلاف العلماء، ثقة"[٣]. وقال السيوطي: "كان فقيهًا، حافظًا، بصيرًا باختلاف العلماء عفيفًا صينًا"[٤].**

**أخذ عن الإمام إبراهيم كثير من طلاب العلم، ومن أشهرهم: عبد**

---

= الرسالة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، جـ ١٣، ص ٤٩٣.

(١) مدينة نَسَف: المدينة الرابعة من مدن إقليم الصُّغد، وهي مدينة كبيرة عظيمة الاتساع، بنيت من الآجر، غزيرة الأمطار، تقع على بُعد مائة ميل تقريبًا من مدينة كش من ناحيتها الغربية. ولها قلعة وحصن، وأرضها خصبة. وللمدينة أربعة أبواب، وهي: باب البخارية، وباب سمرقند، وباب كش، وباب غوبذين. والمدينة تقع على الطريق المؤدي من بخارى إلى بلغ. وقد مدح المقدسي كثرة أعناب المدينة، واثنى على اتساع أسواقها. ويذكر السمعاني أنه أقام بها قريبًا من شهرين، وسمع بها جماعة من العلماء، ويثنى على المدينة بكثرة علمائها. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ب. ت، ص٤١٣، السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، جـ٥، ص٤٨٦، خلف، محمود محمد، الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر بين حقائق المؤرخين وأوهام المستشرقين، القاهرة: دار المعارف، ٢٠١٥م، ص ١٥.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ١٣، ص ٤٩٣.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، جـ ٢، ص ١٨٦.

(٤) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات الحفاظ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص ٣٠٢.

**المؤمن بن خلف النسفي، ومحمد بن زكريا النسفي[١]، وخلف بن محمد الكرابيسي البخاري[٢]، وغيرهم من طلاب العلم.**

**صَنَّف الإمام إبراهيم كُتبًا كثيرة، منها: كتابٌ في التفسير، ومسندٌ في الحديث، وكتاب "الاستقصاءات في النكات"[٣]؛ وهو كتاب جمع فيه النكات الضرورية الأربعينية في الجدل، وأورد فيها أبحاثًا عجيبة، ونوادر غريبة[٤]. وللأسف الشديد لم تصل إلينا هذه المُصَنَّفات. توفى في ذي الحجة سنة [٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م ][٥].**

**الفقيه الثاني من فقهاء الأحناف الذي رحل إلي مصر وعاش في ظل الدولة الطولونية، وإن تأخرت وفاته إلى ما بعد سقوطها، الفقيه: نبهان بن إسحاق بن مقداس البسكاسي[٦]، المعروف بأبي أحمد البخاري. رحل من بخارى في طلب العلم فدخل إقليم خراسان[٧]وسمع من علمائها، ثم رحل**

---

(١) الغزي، الطبقات السنية، جـ ١، ص ١٥٢.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، جـ ٧، ص ٢٢٥.

(٣) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب ـ ت، جـ١، ص٤٣٦.

(٤) البغدادي، إسماعيل، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول: وكالة المعارف، ١٩٥٥م، جـ١، ص٢.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٣، ص ٤٩٣، القرشي، محمد عبد القادر، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، القاهرة: دار هجر، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، جـ١، ص ١١١.

(٦) نسبة إلى بسكاس، إحدى قرى مدينة بخارى، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص٤٢٢.

(٧) خُراسَانُ: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند =

**إلى بغداد[١]. ثم عنَّت له الرحلة إلى بلاد الشام، فسمع ببيروت العباس بن الوليد بن مزيد. وعمرو بن ثوار الجذامي بقيسارية. ثم دخل مصر وأخذ عن علمائها، ومن أشهرهم: إبراهيم بن أبي داود البرلسي، والربيع بن سليمان المرادي، وبكار بن قتيبة، وأحمد بن عبد الله البرقي، وفهد بن سليمان[٢]، وغيرهم.**

**كان نبهان أحد العلماء المتقدمين في فقه الأحناف، كان إمامًا، فاضلاً، ثقة، زاهدًا[٣]. روى عنه: محمد بن محمد بن الحسن القاضي البخاري، وأبو بكر محمد بن داود بن عصام البخاري[٤]، وغيرهما. توفى**

---

= طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ويعدّ ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا، ونذكر ما يعرف من ذلك في مواضعها، وذلك في سنة(٣١هـ ) في أيام عثمان بن عفانﷺ، بإمارة عبد الله بن عامر ابن كريز. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٣٥٠.

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، جـ ٦١، ص٤٤٥، السمعاني، الأنساب، جـ١، ص٣٥٣.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام، بيروت: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، جـ٢٣، ص٢٩٠.

(٣) القرشي، الجواهر المضية، جـ٣، ص٥٣١.

(٤) ابن ماكولا، علي بن هبة الله، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، جـ ٧، ص ٢١٩.

**في المحرم سنة (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)، ولم يترك لنا مُصنَّفًا في الفقه.**

**بعد سقوط الدولة الطولونية عادت مصر مرة ثانية إلى حكم الخلافة العباسية في بغداد، ثم نجح محمد بن طغج الإخشيدي في تأسيس الدولة الإخشيدية، وفي ظلال هذه الدولة عاش الفقيه الحنفي، العلامة إسحاق بن إبراهيم، الملقب بأبي يعقوب الشاشي، نسبة إلى إقليم الشاش الواقع على نهر سيحون. كان فقيه الأحناف في زمانه، رحل إلى مصر واشتهر فيها برواية كتاب "الجامع الكبير"[(١)] للإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة النعمان.**

**ومن الجدير بالذكر، أن الإمام الشاشي ولى قضاء مصر[(٢)]، وحسنت سيرته، وسعد الناس بأحكامه. ذكره ابن يونس في كتابه: "الغرباء الذين قدموا مصر"فقال عنه: "كتبتُ عنه حكايات وأحاديث"[(٣)].**

**برع الإمام الشاشي في علم "أصول الفقه"[(٤)]، فألف كتابه المسمى**

---

(١) هو: كتاب فقهي في فروع الفقه الحنفي، نشره أبو الوفاء الأفغاني، بحيدر آباد، الدكن، ثم طُبع بالقاهرة عام ١٣٥٦ هـ. انظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة، محمود حجازي، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م، جـ٢، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦. سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود حجازي، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٣١١هـ ـ ١٩٩١م، م ١، جـ ٣، ص ٥٩.

(٢) القرشي، الجواهر المضية، جـ ١، ص ٣٦٤.

(٣) عبد الفتاح، فتحي عبد الفتاح، تاريخ ابن يونس الصدفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، جـ٢، ص٣٣.

(٤) الغزي، الطبقات السنية، ص ٣٦٢.

**بـ "أصول الشاشي"[(١)]. وهذا الكتاب من المتون المعتمدة في الفقه الحنفي، وقد شرحه أكثر من عالم من علماء الأحناف[(٢)]. توفى الإمام الشاشي بمصر سنة [٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م ][(٣)].**

(١) كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين ـ تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب. ت، جـ ٢، ص ٢٢٦.

(٢) منهم: المولى محمد بن الحسن الخوارزمي، وأبو الحسن بن محمد السنبلي الهندي. وقد طُبع هذا الكتاب بالهند ١٢٧٩هـ، البغدادي، هدية العارفين، جـ ١، ص ١٩٩، سركيس، إلياس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، النجف: مكتبة آية الله العظمى، ١٩٢٨م، جـ٢، ص ١٠٩٠.

(٣) المقريزي، أحمد بن علي، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م، جـ ٢، ص ٥٢.

## المبحث الثاني: فقهاء المالكية

**المالكية: نسبة إلى مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، إمام دار الهجرة، كان مولده ووفاته بالمدينة المنورة [٩٣ ـ ١٧٩ هـ / ٧١٢ ـ ٧٩٥ م ]. انتشر مذهبه بين أهل المغرب والأندلس[١]. أما في بلاد المشرق فلم يظهر بها أحد ممن ينشر مذهبه ويتفقه به، وذلك لإقامة كثير من تلاميذه بمصر وتونس، وسرى هذا المذهب منهما الي كل البقاع في غرب أفريقيا[٢].**

**كان المذهب المالكي قليل الانتشار في بلاد ما وراء النهر، لذا لم يرحل إلى مصر سوى فقيهين اثنين فقط من فقهاء المالكية. يأتي في مقدمتهم الإمام جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض، المعروف بأبي بكر الفريابي.**

**ولد سنة [ ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م ] في قرية فارياب[٣]. وحفظ القرآن**

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، جـ ٣، ص ٩٥٤.

(٢) حسين، محمد الخضر، تاريخ التشريع الإسلامي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ص ١٦٧.

(٣) هي: من بلاد الترك قرب مدينة بلخ، وهي تقع على جانبي نهر جيحون، فالقسم الشرقي منها يقع ضمن إقليم خراسان. أما القسم الغربي فيقع ضمن بلاد ما وراء النهر. وتعرف حاليًا بـ " خير آباد " حيث توجد قلعة قديمة تحيط بها تلول من الآجر، وفي سنة [٦١٧ هـ / ١٢٢ م ] خرب المغول هذه المدينة عن آخرها. ومما تجدر الإشارة إليه، أن هذه المدينة غير مدينة فاراب التي ينُسب إليها الفيلسوف المشهور أبو نصر الفارابي فهذه هي التي من بلاد ما وراء النهر وتقع على نهر سيحون وليس نهر جيحون. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ٦، ص ٥٢، لسترنج، بلدان الخلافة =

**الكريم منذ صغره، ثم تعلم القراءات وبرع في قراءة قالون عن نافع المدني. ومن أشهر شيوخه في هذا المجال: إسماعيل الدوري، وإسحاق بن سيار النصيبي[١]. ثم سمع الحديث من علماء مدينة فارياب، وأشهرهم يونس بن حبيب، وعبد الرحيم بن حبيب[٢].**

**لم يكتفِ الفريابي بما سمع من علماء بلده، فبدأ رحلته العلمية سنة [٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م]، وهو ابن سبع عشرة سنة. وطاف أرجاء العالم الإسلامي، فسمع من علماء بلاد ما وراء النهر[٣] وخراسان[٤]،**

---

= الشرقية، ص ٤٦٧.

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق طيار آلتي قولاج، استانبول، د. ن، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، جـ ١، ص ٣٠٠، ابن الجزري، محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م، جـ ١، ص٣٢٧.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، جـ ٦، ص ١٢٠٤.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م، جـ ١١، ص ١٣٧.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ١٤، ص ٩٦. و خُراسَانُ: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ويعدّ ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا، ونذكر ما يعرف من =

**والعراق[١]، والشام[٢]،.والجزيرة[٣]، والحجاز[٤]، واليمن[٥]، ومصر[٦].**

**ولنا أن نقدر ما لقيه الفريابي من جهد وتعب وعناء في سبيل طلبه للعلم، فقد جمع في رحلته من سيبيريا شمالًا، وحتى الأطراف الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، ناهيك عن زيارته إلى مصر. قال عنه الصفدي: "أحد أوعية العلم والفهم، طوَّف الدائرة الإسلامية ورحل من الترك(بلاد ما وراء النهر) إلى مصر"[٧].**

**دخل الفريابي مصر في ظل عصر الولاة، وعاش فيها فترة ليست**

---

= ذلك في مواضعها، وذلك في سنة(٣١هـ ) في أيام عثمان بن عفانﷺ، بإمارة عبد الله بن عامر ابن كريز. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٣٥٠.

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ ٢، ص ١٩٠، الخطيب البغدادي، أحمد بن ثابت، تاريخ بغداد، بشار عواد، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، جـ ٧، ص ١٩٩، المالكي، ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي، القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، ١٩٧٦م، جـ ١، ص ٣٢٢.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، جـ ٦، ص ٨١، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٥م، جـ ٢، ص ٢٣٤.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ٤، ص ٢٥٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ ٧، ص ١٩٩.

(٥) ابن فرحون، الديباج المذهب، جـ ١، ص ٣٢٢.

(٦) عياض، عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، جـ ١، ص ٤٧٦.

(٧) الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوافيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، جـ ١١، ص ١١٢.

**بالقليلة عاد بعدها إلى العراق. عاد بغير الوجه الذي ذهب به، عاد في هذه المرة وهو أحد الفقهاء الثقات، المشهود لهم بالفضل والعلم، فلننظر كيف استقبلته بغداد في هذه المرة؛ قال الخطيب البغدادي: "لما ورد أبو بكر الفريابي إلى بغداد استقبل بالطبول، قعد له الناس في شارع المنار بباب الكوفة ليسمعوا منه، فاجتمع الناس، فحرز من حضر مجلسه لسماع الحديث، فقيل نحو ثلاثين ألفًا، وكان المستملون ثلاثمائة وستة عشر"[(١)]. وهذا – بلا شك – عددٌ كبيرٌ، يدل على مدى ما تمتع به الفريابي من قبول عند الناس وثقة في علمه. قال ابن الجوزي: "كان الفريابي مأمونًا، موثوقًا به، مكثرًا"[(٢)]. وقال ابن العماد: "كان إمامًا حافظًا علامة من النقادين. وكان من أوعية العلم"[(٣)].**

**ذاعت شهرة الإمام الفريابي في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فأقبل طلاب العلم عليه، يستمعون إليه ويأخذون منه، ويطول بي المقام لو ذكرت جميع طلابه، لذا سوف أكتفي بذكر أشهرهم، وهم: محمد بن مخلد الدوري[(٤)]، وأبو القاسم الطبراني[(٥)]، وأبو علي بن هارون[(٦)]، والحسن بن عبد**

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ ٧، ص ٩٩، ابن فرحون، ترتيب المدارك، جـ ١، ص٤٧٦.

(٢) المنتظم، جـ ٦، ص ١٢٤.

(٣) شذرات الذهب، جـ ٢، ص ٢٣٤.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ ٧، ص ١٩٩.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ ٢، ص ١٩٠.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ١٤، ص ٩٧.

**الرحمن الرامهرمزي[١]، وأبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري، وكان آخر من سمع منه[٢]. أما في علم القراءات فقد أخذ عنه: عبد المنعم بن غلبون[٣]، ومحمد بن يحيى الأزدي البصري[٤]، وغير هؤلاء كثير. قال أحد تلامذته: "كان مجلس الفريابي من أصحاب المحابر ممن يكتب، حدود عشرة آلاف إنسان. سوى مَن لا يكتب"[٥]. وقال آخر: "رأيتُ مجلس الفريابي تجوز فيه خمسة عشر ألف محبرة، وكنا نحتاج أن نبيت في موضع المجلس، لنجد من الغد موضع مجلس"[٦]. وهذا عدد ضخم قلما يوجد عند عالم آخر. قال الخطيب البغدادي: "وأحاديثه كثيرة، ورواياته منتشرة"[٧]، وعقب ياقوت الحموي بعد ذكر تلامذة الإمام بقوله: "وكتبَ عنه الناس"[٨].**

**وكما رُزق الإمام الفريابي القبول عند عوام الناس، فقد رُزِقت مُصَنَّفاته – أيضًا – القبول عند أهل العلم، فقد حفظت لنا المصادر التاريخية عددًا لا بأس به من هذه المُصَنَّفات[٩]، ومنها: كتاب "السنن"، وهو كتاب يحتوي – كما**

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦، ص ١٢٤.

(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب، جـ ١، ص ٣٢١.

(٣) ابن الجزري، طبقات القراء، جـ ١، ص ٣٢٧.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ١٤، ص ٩٨.

(٥) الذهبي، محمد بن أحمد، العبر في خبر مَن غبر، تحقيق محمد السعيد بسيوني، بيروت: دار الكتب العلمية، ب. ت، جـ ١، ص ١٠٩، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١١، ص ١٣٧.

(٦) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، جـ ٦، ص ٨١.

(٧) الخطيب البغدادي، أحمد بن ثابت، المتفق والمفترق، تحقيق محمد صادق، بيروت: دار القادري، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، جـ ٢، ص ٦٤٣.

(٨) معجم البلدان، جـ ٤، ص ٢٥٩.

(٩) إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، جـ ١، ص ٢٥٢، كحالة، معجم المؤلفين، جـ ٣، =

**يقول صاحب الفهرست – على خمسين كتابًا[١] (فصلاً )، وللأسف لم يصلنا هذا المُصَنَّف. و"دلائل النبوة"[٢]، و"فضائل القرآن"[٣]، و"فضائل مالك بن أنس" مفقود، و"صفات المنافقين وعلاماتهم"[٤]، و"الصيام"[٥]، و"أحكام العيدين"[٦]، و"القدر"[٧]، و"الذكر"[٨]، و"النكاح"[٩]، و"فوائد الفريابي"،**

= ١٤٦، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ ٢، ص ١٦٩، سزكين، تاريخ التراث العربي، م ١، جـ ١، ص ٣٢٥.

(١) ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٣٢٤.

(٢) طُبع بنفس الاسم، تحقيق: أم عبد الله بنت محروس العسلي، الرياض: دار طيبة، ب. ت.

(٣) طُبع بعنوان " فضائل القرآن، وما جاء فيه من الفضل، وفي كم يقرأ، والسُّنَّة في ذلك "، تحقيق يوسف عثمان، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢١ هـ.

(٤) حققه محمد حامد الفقي، في مجموعة: " من دفائن الكنوز " طُبع بالقاهرة، عام [ ١٤٢٩هـ ] وطُبع مرة ثانية تحت عنوان " صفة النفاق وذم المنافقين " تحقيق: عصام بن مرعي، صدر عن مؤسسة قرطبة بالقاهرة، عام [ ١٤٠٨ هـ ].

(٥) طُبع بهذا الاسم، تحقيق: عبد الوكيل رياض أحمد البدوي، صدر عن الدار السلفية، بومباي (الهند) عام [ ١٤١٢ هـ ].

(٦) طُبع بهذا الاسم، تحقيق: أبي عبد الرحمن مساعد بن سليمان بن راشد، صدر عن مؤسسة الرسالة، بيروت، عام [ ١٤٠٦ هـ].

(٧) طُبع بهذا الاسم، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، صدر عن دار أضواء السلف، الرياض، عام [ ١٤١٨ هـ ]، ثم في دار ابن حزم، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، عام [ ١٤٢١ هـ]، ثم في دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، عام [ ١٤٢٤ هـ ].

(٨) طُبع بهذا الاسم، تحقيق: خالد بن قاسم الردادي، صدر عن دار المنار، القاهرة، عام [١٤١٣ هـ].

(٩) ذكره ابن حجر، أحمد بن علي، في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق على محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ، جـ ٤، ص ١٤٢، فؤاد سزكين، تاريخ التراث =

**و"صدقة الفطر"[١]، و"الرؤيا"[٢].**

**صفوة القول، أن مؤلفات الإمام الفريابي كانت غزيرة ومتنوعة وقد غطت مساحة كبيرة في علم الفقه. قال عنه الإمام الذهبي: "وصَنَّف التصانيف النافعة"[٣]، وقال الخطيب البغدادي: "كان مكثرًا في الحديث مأمونًا موثوقًا به"[٤]، وقال ابن العماد: "كان إمامًا حافظًا علامة، من النقادين، وهو صاحب التصانيف"[٥].**

**بعد هذه الرحلة الطويلة الحافلة بالعطاء والبذل والورع رحل الإمام الفريابي في ليلة الأربعاء من شهر المحرم سنة [ ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ]، وهو ابن اربع وتسعين سنة [٦]. قال الحافظ ابن كثير – وأنا أقول به – "رحمه الله (تعالى) حيث كان"[٧].**

**وفي الختام، نقرر أن الإمام الفريابي كان عالمًا ربانيًا بحق، فقد أثرى الحياة العلمية ليس بين مصر وبلاد ما وراء النهر فقط، بل بين معظم بلدان العالم الإسلامي.**

---

= العربي، م١، جـ ١، ص ٣٢٦، ثم طُبع بتحقيق: محمد شكور المياديني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ. ١٩٩٨ م، ص ٧٢.

(١) ابن حجر، أحمد بن علي، المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، تحقيق محمد الميادني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ٦٧.

(٢) ابن حجر، المعجم المفهرس، ص ١٢٠.

(٣) سير أعلام النبلاء، جـ ١٤، ص ٩٦، وكتابه، العبر، جـ ١، ص ١٠٩.

(٤) تاريخ بغداد، جـ ٧، ص ٢٠١.

(٥) شذرات الذهب، جـ ٢، ص ٢٣٤، وانظر، السيوطي، طبقات الحفاظ، جـ ١، ص ٥٩.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦، ص ١٢٤.

(٧) البداية والنهاية، جـ ١١، ص ١٣٧.

وممن أسهم في إثراء الحركة الفقهية بين مصر وبلاد ما وراء النهر، ورحل إلى مصر في عصر الولاة، محمد بن جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض، أبو الحسن بن أبي بكر الفريابي. ابن الإمام جعفر ـ سابق الذكر ـ، ولد عام [٢٤٧ هـ / ٨٦١ م] في مدينة فاريـاب. وسمع من أساطين العلم في زمانه، فسمع بالإضافة إلى أبيه، من عباس بن محمد الدوري، وإسحاق بن سيار النصيبي[١]، وغيرهم. رحل إلى مصر، فسمع بها المطلب بن شعيب المصري، وموسى بن الحسن الصقلي، والحسن بن كليب الأنصاري، وغيرهم من أهل العلم.

كان أبو الحسن الفريابي ثقة في العلم[٢]، رحل إليه الطلاب ينهلون من علمه، ويأخذون عنه، ومن أشهرهم: محمد بن إسماعيل الوراق، وأبو الحسين بن جميع الغساني، وأبو حفص الكناني[٣]، وغيرهم.

لم تحفظ لنا المصادر التاريخية شيئًا عن مؤلفات أبي الحسن الفريابي، حتى أنها عجزت عن ذكر سنة وفاته، ولعل شهرة أبيه أبي بكر قد طغت عليه، فدخل في دائرة النسيان.

صفوة القول، أن المذهب المالكي كان – وما زال – قليل الانتشار في بلاد ما وراء النهر، ولعل ذلك يرجع إلى غلبة المذهب الحنفي والشافعي بين أهالي تلك البلاد. وقد حاولت عمل استقصاء لمعظم كتب طبقات فقهاء المالكية بالإضافة إلى المصادر التاريخية، فلم أعثر ـ على قدر جهدي ـ إلا على هذين الفقيهين فقط من فقهاء بلاد ما وراء النهر الذين رحلوا إلى مصر.

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ ٢، ص ١٤١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦، ص ٢٩٩.

(٣) السمعاني، الأنساب، جـ ٤، ص ٣٧٦.

## المبحث الثالث: فقهاء الشافعية

**الشافعية: نسبة إلى الإمام الشافعي محمد بن إدريس الهاشمي، ولد في غزة بفلسطين [١٥٠ ـ ٢٠٤هـ / ٧٦٧ ـ ٨٢٠ م]، وحُمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة [١٩٩هـ /٨١٤ م] فتوفى بها. انتشر المذهب الشافعي في العراق ومصر وخراسان وما وراء النهر(١) وقاسموا الحنفية الفتوى والتدريس. ومع أن المذهب الحنفي كان له سلطان لأنه مذهب الدولة العباسية ولكن المذهب الشافعي كان ينازعه السلطان في الشعبية، وكان العلماء الذين نقلوه حريصين على نقل كتب المذهب الأصيلة إلى تلك البلاد ونشرها بين المثقفين. كما كانوا حريصين على إقناع الحكام والسلاطين به ليجعلوه مذهب ولاياتهم(٢).**

**كان المذهب الشافعي منافسًا قويًا للمذهب الحنفي في منطقة آسيا الوسطى، وكان يحتل المركز الثاني في الانتشار بعد المذهب الحنفي، ولكن كانت رحلة الفقهاء الشافعيين إلى مصر، أكثر من فقهاء الأحناف. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كثرة تلامذة الإمام الشافعي في مصر والذين نجحوا في نشر علمه وفقهه في مشرق العالم الإسلامي.**

**يعد الإمام محمد بن أحمد بن نصر، المعروف بأبي جعفر الترمذي أقدم مَن وطأت أقدامه أرض مصر من فقهاء الشافعية. ولد في مدينة ترمذ؛ إحدى بلاد ما وراء النهر في سنة(٢٠٠هـ/ ٨١٧م)، ثم حفظ القرآن**

(١) ابن خلدون، المقدمة، جـ ٣، ص ٩٥٠ ـ ٩٥٣.

(٢) أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

**الكريم في صغره على يد الشيخ محمد بن عثمان العثماني[١] وصار بارعًا في علم القراءات برواية قالون عن نافع المدني.**

**سمع أبو جعفر الترمذي من علماء وطنه، ثم سافر إلى بغداد للأخذ عن علمائها، فسمع يوسف بن عدي[٢]، ويعقوب بن حميد بن كاسب[٣]، وعبيد الله القواريري[٤]، وغيرهم.**

**بعد أن قضى الترمذي فترة ليست بالقليلة في بغداد، كان عليه أن يتوجه إلى مصر موطن المذهب الشافعي للأخذ عن علماء هذا المذهب. ومن طريف ما يروى حول سبب سفر الترمذي إلى مصر، أنه قال: "كتبتُ الحديث ولم يكن لي حُسْن رأي في الشافعي. بينما أنا قاعد في مسجد النبي(ﷺ) بالمدينة إذ غفوت غفوة، فرأيت النبي (ﷺ) في المنام. فقلت: يا رسول الله أكتب رأي أبي حنيفة؟، قال: لا. قلت: أكتب رأي مالك؟، قال: ما وافق حديثي. قلت له: أكتب رأي الشافعي؟ فطأطأ رأسه شبه الغضبان لقولي. وقال: ليس هذا بالرأي، هذا ردٌ على ما خالف سنتي. فخرجت على أثر هذه الرؤيا إلى مصر فكتبت كتب الشافعي"[٥].**

---

(١) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، جـ ١، ص ٦٣.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحفيظ منصور، طرابلس: دار المد الإسلامي، ٢٠٠٢م، جـ١، ص ١٨١.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ ١، ص ٢٦٥.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ١٣، ص ٥٤٦.

(٥) ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق مريم قاسم طويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، =

**وإنني لا أشك في رؤيا الإمام الترمذي، ولكن يبدو لي أن هذه الرؤية قد فُسِرت وأُشيعت، كي تدعم المذهب الشافعي، خاصة وأن الخلاف كان شديدًا بينهم وبين الأحناف. ودليلنا على ذلك هو اختلاف المؤرخين حول المذهب الذي كان يعتنقه الترمذي قبل تحوله إلى المذهب الشافعي. فيذكر كل من الخطيب البغدادي(١)، والسمعاني(٢) إنه كان مالكي المذهب. على حين يؤكد فقهاء الشافعية ومؤرخوها(٣)على أنه كان حنفي المذهب، ثم تركه وانتقل إلى المذهب الشافعي.**

**وعلى كل، فقد دخل الترمذي مصر في ظل الدولة الطولونية، التي كانت ـ كما سبقت الإشارة ـ تهتم بالفقهاء اهتمامًا بالغًا، فسمع الربيع بن سليمان – تلميذ الإمام الشافعي–، وزهير بن عياد، ويحيى بن بكير**

---

٤، ص ١٩٥، الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ ٢، ص ٥١.

(١) تاريخ بغداد، جـ ١، ص ٣٦٥.

(٢) الأنساب، جـ ١، ص ٤٦٠.

(٣) الشيرازي، إبراهيم بن على، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، القاهرة: دار الرائد العربي، ١٩٧٠م، ص ١٠٥، الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، جـ ١، ص ١٤٣، ابن قاضي شهبة، أحمد بن محمد، طبقات الشافعية، تحقيق عبد العليم خان، بيروت: علم الكتب، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، جـ ١، ص ٨٢، السبكي، علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد، القاهرة: دار هجر، ١٤١٣هـ، جـ ٢، ص ١٨٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ ٤، ص ١٩٥، الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ ٢، ص ٥١.

**المصري[١]، وغيرهم.**

**عاش الترمذي في مصر ـ أثناء طلبه للعلم ـ عيشة الكفاف. قال ابن الجوزي: "كان من أهل العلم والزهد"[٢]، وقال ابن كثير: "كان متقللًا في المطعم، على حالة عظيمة، فقرًا، وورعًا، وصبرًا. كان ينفق في كل شهر أربعة دراهم، وكان لا يسأل الناس شيئًا حتى إنه كان يتقوت بأقل الطعام. قال عن نفسه: "تقوت في سبعة عشر يومًا خمس حبات. وعندما سُئل عن ذلك، قال: لم يكن عندي غيرها فاشتريت بها لفتًا، فكنت أكل كل يوم واحدة"[٣]. هكذا كانت حياة الإمام الترمذي في مصر صابرًا على خشونة العيش في سبيل طلب العلم.**

**وبالرغم من خشونة هذه الحياة، إلا أنها لم تثنه عن الاجتهاد في فقه المذهب الشافعي، حتى أصبح من أئمة مجتهدي المذهب الشافعي في مصر، فقد كانت له آراء فقهية خالف فيها كثيرًا من أئمة المذهب، ومنها – على سبيل المثال – طهارة شَعْر النبي(ﷺ)[٤]. وإن الساجد للتلاوة خارج الصلاة لا يكبر للافتتاح، لا وجوبًا ولا استحسانًا. وأنه إذا رُمي إلى حربي**

(١) المقريزي، المقفى الكبير، جـ ٥، ص ٢٠٨٥.

(٢) المنتظم، جـ ٦، ص ٨٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١١، ص ١٢٠.

(٤) قال الذهبي: " يتعيَّن عَلَى كُلّ مُسْلِم الْقطع بِطَهَارَة ذَلِكَ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا حَلَقَ رأْسَهُ، فَرَّقَ شَعْرَه المطَهَّر عَلَى أَصْحَابِهِ، إِكرَاماً لَهُم بِذَلِكَ، فوَالهفِي عَلَى تَقْبيل شَعْرَة مِنْهَا "، سير أعلام النبلاء، جـ ١٣، ص ٥٤٦. وقال في موضع آخر: " يجب على كل مسلم أن يقطع بطهارة شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِﷺ، فَإِنَّهُ لما حلق رأسه فرّق شَعْرَه المكرم المطهَّر على أصحابه، ولم يكن ليفرّق عليهم نجسًا"، تاريخ الإسلام، جـ ٢٢، ص ٢٤٤.

**فأسلم، ثم أصابه السهم فمات فلا ضمان له[1]. وأن الواجب في الركاز أن يُصرف إلى أهل الخُمس[2]، وغيرها من الآراء الفقهية النفيسة . قال الإمام النووي: "أبو جعفر الترمذي من أصحابنا المتقدمين، كان فقيهًا، فاضلًا، ورعًا، سديد السيرة"[3]، وقال الخطيب البغدادي: "ثقة من أهل العلم والفضل والزهد في الدنيا"[4]، وقال الدارقطني: "ثقة مأمون ناسك"[5]، وقال السمعاني: "لم يكن للشافعيين بالعراق أرأس منه، ولا أشد ورعًا"[6].**

**لم يترك لنا الإمام الترمذي سوى مُصَنَّفٍ واحدٍ يحمل عنوان: "اختلاف أهل الصلاة في الأصول"[7]، قال ابن قاضي شهبة: "وله في المقالات كتاب سماه: اختلاف أهل الصلاة في الأصول، وقف عليه ابن الصلاح وانتقى منه"[8]. وللأسف لم يصلنا هذا الكتاب في صورته الحقيقية، وإنما وصلت إلينا منه مقتطفات في "طبقات الشافعية الكبرى "للإمام السبكي[9]، و"طبقات الشافعية "للأسنوي[1].**

---

(١) الأسنوي، طبقات الشافعية، جـ ١، ص ١٤٣.

(٢) ابن القاضي شهبة، طبقات الشافعية، جـ ١، ص ٨٢.

(٣) النووي، محيي الدين بن شرف الدين، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ب ـ ت، جـ ١، ص ٧٧٦.

(٤) تاريخ بغداد، جـ ١، ص ٣٦٥.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ١٣، ص ٥٤٦.

(٦) الأنساب، جـ ١، ص ٤٦٠.

(٧) كحالة، معجم المؤلفين، جـ ٩، ص ٢٥.

(٨) طبقات الشافعية، جـ ١، ص ٨٢.

(٩) طبقات الشافعية جـ ٢، ص ١٧٢.

**توفى الإمام الترمذي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة [٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م ][٢] تاركًا وراءه اجتهادًا فقهيًا جديرًا بالبحث والمناقشة.**

**الفقيه الثاني من فقهاء بلاد ما وراء النهر الذي رحل إلى مصر، هو: محمد بن عقيل الفريابي، ولد في فارياب – إحدى المدن الواقعة على نهر جيحون –، وسمع من علماء بلاده، ثم رحل إلى العراق، فسمع من قتيبة بن سعيد، وداود بن مخراق، وجماعة غيرهم. لم يمكث الفريابي كثير في بغداد، ثم عنَّت له الرحلة إلى مصر للأخذ عن أساطين المذهب الشافعي؛ من أمثال: الإمام المُزني، والربيع بن سليمان[٣]، وغيرهم.**

**عاش الفريابي في مصر في ظل الدولة الطولونية، وذاعت شهرته بين أهل العلم، فأقبل الطلاب ينهلون من علمه، وكان من أشهرهم: علي بن محمد المصري الواعظ، وأبو القاسم الطبراني[٤]. أما أشهر تلامذته على الإطلاق، فكان: أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المصري، المعروف بابن الحداد [ ٢٦٣ – ٣٤٥ هـ / ٨٧٦ – ٩٥٦ م ]، قال الذهبي: "أخذ الفقه عن محمد بن عقيل الفريابي"[٥]. وقد أثمرت تربية الفريابي في تلميذه ابن الحداد، فقدم الأخير للمذهب الشافعي خدمات جليلة، ودافع**

---

(١) طبقات الشافعية جـ ١، ص ١٤٣.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، جـ ٢، ص ٢١٩.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٢، ص ٢٤٣.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، جـ ٢١، ص ٢٧٥.

(٥) سير أعلام النبلاء، جـ ١٥، ص ٤٤٥.

**عن المذهب في كثير من مؤلفاته[1].**

**هذا، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية مُؤَلفًا واحدًا للفريابي، ولعله اكتفى بنشر المذهب الشافعي بين المصريين، لذا فقد استحق أن يُطلق عليه لقب" الفقيه الشافعي"[2]. توفى ــ رحمه الله تعالى ــ بمصر سنة [٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م]، ودفن بالمقطم[3].**

**وفي ظل الدولة الطولونية ـ كذلك ـ رحل إلى مصر الفقيه الثالث من أعلام الفقه الشافعي، إنه: عوف بن عيسى بن ينفرن بن يرت بن شفردان أصله من إقليم فرغانة – أحد أقاليم بلاد ما وراء النهر –، سكن بغداد فترة من الزمان، ثم هاجر إلى مصر أخذًا عن علماء الشافعية بها من أمثال: الحارث بن سريج، والسكن بن النضر[4]، وغيرهما.**

**أحب عوف مصر فاتخذها سكنًا له، وتزوج بها، وله بها عقب. وبمرور الوقت صار عوفٌ فقيهًا، شافعيًا، مناظرًا، مدافعًا عن المذهب الشافعي[5]. وقد تتلمذ على يديه كثير من أبناء هذا المذهب، من أمثال: ابن مسرور البلخي، وابن النحاس المصري، وأبي مسلم الكجي [إبراهيم بن عبد الله بن مسلم][6][٢٠٠ – ٢٩٢ هـ / ٨١٥ – ٩٠٤ م]، وغيرهم.**

---

(١) عن مؤلفاته انظر، السيوطي، حُسن المحاضرة، جـ ١، ص ٣١٣.

(٢) الدارقطني، علي بن عمر، المؤتَلِف والمختَلِف، تحقيق موفق بن عبد الله، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، جـ ٢، ص ١٣٢.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٢، ص ٢٤٣.

(٤) ابن ماكولا، الإكمال، جـ ١، ص ٢٥٦.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ ١٢، ص ٢٩٢.

(٦) السمعاني، الأنساب، جـ ١، ص ٧٦.

**مات عوف في مصر التي أحبها وعاش فيها، ومن ثم فقد دفن في أرضها. وللأسف لم تمدنا المصادر التاريخية بعام وفاته.**

**في سنة [٣١١هـ / ٩٢٣ م] ولد الفقيه أحمد بن علي بن عمرو السليماني، أبو الفضل البيكندي. في مدينة بيكند – إحدى بلاد بخارى – ، حفظ القرآن الكريم في صغره، وسمع من معظم شيوخ بخارى، من أمثال: محمود بن إسحاق الخزاعي(١)، ومحمد بن صابر بن كاتب(٢)، وغيرهم. ثم عنَّت له الرحلة إلى آفاق العالم الإسلامي للأخذ عن علماء الشافعية، فنزل إقليم خراسان، ومنها توجه إلى أصبهان، ثم سافر إلى العراق؛ حيث العلم الزاهر، ثم ارتحل إلى الشام، وأخيرًا استقر به المقام في مصر(٣).**

**دخل البيكندي مصر وعاش فيها في ظلال الدولة الإخشيدية، فانتفع بما سمع من فقهائها، فحصَّل العلم الكثير. لذا عندما عاد إلى بخارى، ارتفع شأنه، وذاع صيته بين أهل الفقه وطلاب العلم. فقيل عنه: "كان من الحفظ والإتقان وعلو الإسناد، وكثرة التصانيف بمكان وقدر رفيع"(٤). قال الحاكم النيسابوري: "كان يحفظ الحديث، ورحل فيه، وكان من الفقهاء الزهاد. رأيته ببخارى على رسمه في طلب العلم، ومجالسة الصالحين، ولزوم الجماعة"(٥).**

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ ٣، ص ١٦٠.

(٢) السمعاني، الأنساب، جـ ١، ص ٤٣٤، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ١، ص ٥٣٣.

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، جـ ٣، ص١٧١.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٤، ص ٤١، ابن كثير، طبقات الشافعية، جـ ١، ص ٣٤٨.

(٥) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق علي نجيب، =

**جلس البيكندي لتعليم الناس في مسجد بيكند، ومن طريف ما يذكر أن البيكندي كان يكتب دروسه كل أسبوع ويرحل بها إلى المسجد الجامع ببخارى ليحدث بها طلاب العلم. قال السمعاني: "رحل إلى الآفاق، ولم يكن له نظير في زمانه إسنادًا وحفظًا ودراية وإتقانًا، وكان يُصَنِّف في كل جمعة شيئًا ويدخل من بيكند إلى بخارى، ويحدث بما صَنَّف"[(١)].**

**بمثل هذه الروح العلمية عاش البيكندي؛ عاش ليعلم الناس أمور دينهم في بلده بيكند، ويرتحل من أجله إلى بخارى. ولا غرابة في أن يلتف طلاب العلم حوله ليسمعوا منه، وينهلوا من سمته، فكان من أشهر تلامذته: جعفر بن محمد المُسْتَغْفِريّ، صاحب "تاريخ سمرقند"و"تاريخ نسف"، وابنه: محمد بن جعفر[(٢)]، وغيرهم من طلاب العلم[(٣)].**

**لم يكتفِ البيكندي بتعليم الناس وتفقيههم، بل كتب ما يقرب من أربعمائة مُصَنَّف في مختلف العلوم الشرعية. ويعد كتابه:"في أسماء الرجال"[(٤)]، من أهم كتبه على الإطلاق، قال عنه الذهبي: "وقفتُ على تأليفه في أسماء الرجال وعلقتُ منه"[(٥)]. ومما يؤسف له أن هذه المُؤَلفات فُقِدت فلم يصل إلينا منها شيء. ومما يؤسف له ــ**

---

= بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٢م، جـ ١، ص ٣٥٥.

(١) الأنساب، جـ ١، ص ٤٣٤، وانظر: السيوطي، طبقات الحفاظ، جـ١، ص ٨٢.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٤، ص ٤١.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ٧، ص ٢٠٠.

(٤) كحالة، معجم المؤلفين، جـ ٢، ص ١٦، إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، جـ ١، ص٧١.

(٥) تذكرة الحفاظ، جـ ٣، ص ١٦٠.

**أيضًا ــ أن كتب طبقات الشافعية لم تذكر لنا شيئًا من آرائه الفقهية، أو اجتهاداته في فروع المذهب الشافعي. قال عنه الصفدي: "لم يكن له نظير في عصره ببخارى حفظًا وإتقانًا وكثرة تصنيف"[١]، وقال ابن كثير: "كان إمامًا حافظًا من الثقات"[٢].**

**وبعد رحلة علمية طويلة من العطاء توفي الإمام البيكندي في مسقط رأسه بخارى. ولكن اختلف المؤرخون في سنة وفاته، فذكر الذهبي[٣]، والسبكي[٤]، والصفدي[٥]، والسيوطي[٦]، و وافقهم إسماعيل البغدادي [٧]، أنه توفى سنة[ ٤٠٤ هـ / ١٠١٤ م ]. بينما ذكر السمعاني[٨]، وياقوت الحموي[٩]، وتبعهم الزركلي[١٠]، أنه توفى سنة [ ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م ]. بينما اكتفى ابن العماد الحنبلي [١١]، وابن الصلاح [١٢]، وكحالة [١] بذكر**

(١) الوافي بالوفيات، جـ ٧، ص ١٤٢.

(٢) طبقات الشافعية، جـ ١، ص ٣٤٨.

(٣) تذكرة الحفاظ، جـ ١، ص ١٦٠، وكتابه، سير أعلام النبلاء، جـ ١٧، ص ٢٠٠.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٤، ص ٤١.

(٥) الوافي بالوفيات، جـ ٢، ص ٤٥٢.

(٦) طبقات الحفاظ، جـ ١، ص ٨٢.

(٧) هدية العارفين، جـ ١ ص ٣٧.

(٨) الأنساب، جـ ١، ص ٤٣٤.

(٩) معجم البلدان، جـ ١، ص ٥٣٣.

(١٠) الأعلام، جـ ١، ص ١٧١.

(١١) شذرات الذهب، جـ ٣، ص ١٧١.

(١٢) طبقات الفقهاء الشافعية، جـ ١، ص ٣٥٥.

**الشهر الذي توفى فيه وهو ذو القعدة، ولم يصرح أحدٌ منهم بسنة الوفاة.**

## المبحث الرابع: فقهاء الحنابلة

**الحنابلة: نسبة إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، الذي ولد في بغداد [١٦٤ ـ ٢٤١ هـ / ٧٨٠ ـ ٨٥٥ م]، ونشأ منكبًا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارًا كثيرة: إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، وفارس، وخراسان، والجبال والثغور. وعلى الرغم من قوة رجال الفقه الحنبلي، إلا أن انتشاره لم يكن متناسبًا مع هذه القوة. فقد كان أتباع المذهب ـ خلال فترة البحث ـ من العامة قليلين، فكان بعضهم في إقليم نجد والجزيرة العربية(٢)، والبعض الآخر في الشام والعراق.**

**يعد المذهب الحنبلي، أقل المذاهب انتشارًا في بلاد ما وراء النهر. ويمكن أن أرجع ذلك لطغيان المذهب الحنفي في هذه البلاد، ومنافسة المذهب الشافعي له، والذي نجح – كما سبق القول – في فرض وجوده في بلاد ما وراء النهر بفضل جهود فقهائه.**

**هذا بخلاف المذهب الحنبلي، الذي لم أعثر من أتباعه بين ثنايا المصادر التاريخية، وكتب الطبقات إلا على عالِمين اثنين من أعلام بلاد ما**

---

) معجم المؤلفين، جـ ٢، ص ١٦.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، جـ ٣، ص ٩٥١، أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٥٢٨ـ٥٢٩.

**وراء النهر رحلوا إلى مصر، والعالِمان من مدينة ترمذ[١].**

**أولهما: أحمد بن الحسن بن جُنَيْدْب، المكنى بأبي الحسن الترمذي. لم تذكر لنا المصادر التاريخية سنة ميلاده، ولكنها أكدت على أنه رحل إلى بغداد للأخذ عن الإمام أحمد بن حنبل[٢]. قال عن نفسه: سألت أبا عبد الله( أحمد بن حنبل)، قلت له: أكتب كتب الشافعي؟! ، فقال: ما أقل ما يحتاج صاحب حديث إليها"[٣].**

**إذًا، كان الإمام أحمد بن حنبل، مؤسس المذهب الحنبلي، هو أول شيوخ الترمذي، فعنه أخذ ومنه تعلم. قال صاحب "طبقات الحنابلة": "ونقل عن إمامنا مسائل كثيرة"[٤]. وقال أبو بكر الخلال: "حدثنا عنه الأكابر بخراسان بمسائل عن أحمد [ بن حنبل ]"[٥]. وقال الذهبي: "تفقه بأحمد بن حنبل، وكان بصيرًا بالعلل والرجال"[٦].**

(١) قال عنها ياقوت الحموي: " مدينة مشهورة من أمهات المدن تقع على الجانب الشرقي لنهر جيحون، لها قهند [ قلعة] يحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجر "، معجم البلدان، جـ ١، ص ٤٤١.

(٢) أبو يعلى الحنبلي، محمد بن محمد، طبقات الحنابلة، تحقيق محمد الفقي، بيروت: دار المعرفة، ب ـ ت، جـ ١، ص ٣٦.

(٣) ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، جـ ١، ص ٨٨.

(٤) أبو يعلى الحنبلي، طبقات الحنابلة، جـ ١، ص ٣٦.

(٥) أبو يعلى الحنبلي، طبقات الحنابلة، جـ ١، ص ٣٦.

(٦) سير أعلام النبلاء، جـ ١٢، ص ١٥٦.

**وقال في موضع آخر: "وكان من تلامذة أحمد بن حنبل"[(١)].**

**لم يكتفِ أحمد بن الحسن الترمذي بما أخذه عن شيخه إمام أهل السُّنَّة – في زمانه – الإمام أحمد بن حنبل، بل رحل في أرجاء العالم الإسلامي للأخذ عن أهل العلم؛ فدخل نيسابور[(٢)]، والعراق[(٣)]، والشام[(٤)]، والحجاز[(٥)].**

**وفي ظل عصر الولاة دخل الترمذي مصر وسمع من أبرز علمائها، من أمثال: سعيد بن الحكم بن أبي مريم، وكثير بن عفير[(٦)] وأبي صالح كاتب الليث[(٧)]، وغيرهم. قال ابن عساكر: "الحافظ الرحال"[(٨)]، وقال الذهبي: "وله رحلة واسعة"[(٩)] يعني في طلب العلم.**

**حظي أحمد بن الحسن الترمذي بثقة العلماء والمحدثين، فقال عنه أبو حاتم الرازي: "هو صدوق"[(١٠)]، وقال ابن خزيمة: "كان أحد أوعية**

---

(١) تاريخ الإسلام، جـ ١٨، ص ٣٨.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، جـ ٣، ص ٤٠.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ ٦، ص ١٩٧،

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ١٢، ص ١٥٦.

(٥) ابن حجر، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، جـ ١، ص ٢١.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ٢، ص ٢٧.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، جـ ١٨، ص ٣٨.

(٨) مختصر تاريخ دمشق، جـ ٣، ص ٤٠.

(٩) سير أعلام النبلاء، جـ ١٢، ص ١٥٦.

(١٠) الباجي، سليمان بن خلف، التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع =

**الحديث"[١]. كما وثقه ابن حبان في كتاب "الثقات"[٢]. هذه الثقة جعلت طلاب العلم يلتفون حوله في كل موطن نزل فيه، قال أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في كتابه ــ المفقود ـ "تاريخ نيسابور": "ورد نيسابور ودخلها عام [٢٤١ هـ / ٨٥٥ م] فحدث في ميدان الحسين[٣] فكتب عنه كافة المشايخ وسألوه عن علل الحديث والجرح والتعديل"[٤].**

**ومن أشهر تلامذة الإمام أبي الحسن الترمذي، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري[٥] [ ١٩٤ – ٢٥٦ هـ / ٨١٠ – ٨٧٠ م ]، وأبو عيسى الترمذي [ ٢٠٩ – ٢٧٩ هـ / ٨٢٤ – ٨٩٢ م ]، وأبو بكر بن خزيمة [٢٢٣ – ٣١١ هـ / ٨٣٨ – ٩٢٣ م ]، وأبو زرعة الرازي [المتوفى عام: ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م]، وأبو حاتم الرازي[٦] [ ١٩٥ –**

---

= الصحيح، تحقيق أحمد لبزار، المغرب، ب . ت، ب. ن، جـ ١، ص ٢٩٤.

(١) السيوطي، طبقات الحفاظ، جـ ١، ص ٤٥.

(٢) جـ ٨، ص ٢٧.

(٣) الميدان: محلة في نيسابور ينسب إليها أبو علي أحمد بن محمد الميداني صاحب كتاب " الأمثال " [ المتوفى عام: ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م ] انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ٨، ص ٣٥٤، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٢٨.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، جـ ١، ص ٢١.

(٥) أورد الإمام البخاري في صحيحه حديثًا واحدًا في آخر كتاب المغازي، ونصه: " عن أحمد بن الحسن الترمذي عن أحمد بن حنبل بسنده عن بريدة، قال: " غزا مع رسول الله (ﷺ) ست عشرة غزوة " [ حديث رقم ٤٤٧١ ]، قال ابن حجر: ليس له [أحمد بن الحسن الترمذي ] في البخاري سوى هذا الحديث، وهو من أقران البخاري، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جـ ٧، ص ٧٦٠، باب ٨٩ "كم غزا النبي (ﷺ)؟".

(٦) السيوطي، طبقات الحفاظ، جـ ١، ص ٤٥.

**٢٧٧ هـ / ٨١٠ – ٨٩٠ م ]، كما سمع منه محمد بن جرير الطبري [٢٢٤ – ٣١٠ هـ / ٨٣٩ – ٩٢٣ م ]، وجعفر بن محمد المستفاض [٢٠٧ – ٣٠١ هـ / ٨٢٢ – ٩١٣ م ][(١)]، وغيرهم من أهل العلم.**

**لم يترك لنا الإمام أبو الحسن الترمذي، سوى مؤلف واحد في الفقه الحنبلي، يحمل عنوان: "مسائل أبي الحسن الترمذي". وهي عبارة عن مجموعة من الأسئلة التي وجهها أحمد بن الحسن الترمذي لشيخه الإمام أحمد بن حنبل. ومنها: سؤال عن الإمام الشافعي، وسؤال عن ابن أبي قتيلة، وغيرها من الأسئلة. قال أبو بكر الخلال: "نقل عن إمامنا مسائل كثيرة، حدثنا عنه الأكابر بخراسان بمسائله عن أحمد بن حنبل"[(٢)]. وللأسف لم يصل إلينا هذا المُصَنَّف كي نقف على طبيعة هذه المسائل. ولكن يبدو من الشذرات التي وصلتنا في كتب طبقات الحنابلة، إنها عبارة عن أسئلة في كافة المجالات، أعني: علم الرجال، والجرح والتعديل، والحديث، والفقه.إلخ.**

**اختلف المؤرخون في سنة وفاة الإمام أحمد بن الحسن الترمذي، فقيل توفى سنة [٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م][(٣)]، وقيل سنة [ ٢٥٠ هـ / ٨٦٤م][(٤)]، وأما الإمام الذهبي، فقد قال في كتابه "سير أعلام النبلاء": "لم أظفر له بتاريخ**

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، جـ ٣، ص ٤٠.
(٢) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، جـ ١، ص ٣٦.
(٣) ابن أبي يعلى، نفس المصدر، نفس الجزء، نفس الصفحة.
(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ ١، ص ٢١.

**وفاة"[١]، وقال في كتابه "تاريخ الإسلام": "ولا تاريخ لموته"[٢]. على حين يؤكد في كتابه "تذكرة الحفاظ": "إنه توفى سنة بضع وأربعين ومائتين"[٣]. أما باقي المصادر فقد آثرت الصمت عن ذكر سنة الوفاة.**

**مما سبق نستنتج أن الإمام أحمد بن الحسن الترمذي قد توفى في الفترة من [٢٤٥ هـ / ٨٥٩م ] وحتى [ ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م ]. وإن كنت أرجح القول الأول، أعني به قول صاحب طبقات الحنابلة، فهم أعلم الناس برجالهم.**

**صفوة القول، أن الإمام أحمد بن الحسن الترمذي، كان أول فقيه حنبلي يدخل مصر، ويشرب من نيلها، ويسمع من علمائها. فكان بذلك أول مَن أسهم من فقهاء المذهب الحنبلي في إثراء الحياة الفكرية بين مصر وبلاد ما وراء النهر.**

**ثاني فقهاء الحنابلة الذي رحل إلى مصر وعاش بها في ظل الدولة الطولونية، الإمام محمد بن إسماعيل بن يوسف، المكنى بأبي إسماعيل الترمذي. ولد بعد التسعين ومائة في مدينة ترمذ[٤]. حفظ القرآن الكريم وجوده على يد شيخه عبد الله بن ذكوان، وبرع في قراءة عبد الله بن عامر، مما جعل أبا عمرو الداني يثني على قراءته[٥].**

---

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب جـ ١٢، ص ١٥٦.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب جـ ١٨، ص ٣٨.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب جـ ٢، ص ٩١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ١٣، ص ٢٤٢، ابن حجر، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دمشق: دار الرشيد، ١٩٨٥م، جـ ١، ص ٨٢٦.

(٥) ابن الجزري، طبقات القراء، جـ ١، ص ٣٢٣.

**رحل الترمذي من بلاد ما وراء النهر لطلب العلم فدخل بغداد وسمع من الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ – ٢٤١ هـ / ٧٨٠ – ٨٥٥ م]، وأخذ عنه الحديث والفقه(١)، ثم دخل البصرة(٢). ومنها سافر إلى بلاد الشام(٣)، ثم رحل إلى مصر وسمع من علمائها، من أمثال: عبد الله بن صالح – كاتب الليث بن سعد –، ويحيى بن عبد الله بن بكير، وسعيد بن أبي مريم، وأبا يعقوب البويطي(٤)، وغيرهم. ثم ذهب الترمذي إلى بلاد الحجاز، فدخل مكة في موسم الحج، وأدى الفريضة، وسمع بعض علمائها(٥). ومنها رحل إلى مسجد الرسول(ﷺ) بالمدينة، وأخذ عن علمائها.**

**بعد هذه الرحلة الطويلة عاد الإمام الترمذي إلى العراق، عاد ليكون في جوار شيخه الإمام أحمد بن حنبل. جاء في طبقات الحنابلة: "قال أبو إسماعيل الترمذي: كنتُ أنا وأحمد بن الحسن الترمذي، عند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. فقال له: أحمد بن الحسن، يا أبا عبد الله؛ ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه؛ وقال: زنديق، زنديق، زنديق، ودخل البيت"(٦).**

---

(١) السمعاني، الأنساب، جـ ١، ص ٤٦١.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ ٢، ص ٤٢.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، جـ ٥٢، ص ١١٢.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ١٣، ص ٢٤٢.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، جـ ٢٠، ص ٤٣٨.

(٦) ابن أبي يعلى: جـ ١، ص ٢٨٠.

**وهذا نص يثبت لنا أن أبا إسماعيل الترمذي قد سمع من الإمام أحمد بن حنبل مباشرة ولا غرابة، فقد قال عنه علامة المذهب أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال[١] [المتوفى عام: ٣١١ هـ / ٩٢٣ م]: "صاحبنا، وقد سمعنا منه حديثًا كثيرًا. وكان عنده عن أبي عبد الله [ أحمد بن حنبل ] مسائل صالحة"[٢].**

**لم يكتفِ الترمذي بالسماع من إمام المذهب، بل كانت له اجتهادات في فروع المذهب الحنبلي، ربما اعترض عليها بعض فقهاء المذهب. قال أبو بكر الخلال "وكان عنده عن أبي عبد الله مسائل صالحة حسان، وفيها ما أغرب به على أصحاب أبي عبد الله"[٣]. ولا أدري ما وجه الغرابة في أن يجتهد الإمام الترمذي في بعض مسائل المذهب الحنبلي. فمن المعروف أن المذهب الحنبلي يعد من أثرى المذاهب الفقهية الذي دعا أصحابه للاجتهاد، فالحنابلة "يفتحون الباب لكل من استأهل أن يكون مجتهدًا، وتحققت فيه أوصاف الاجتهاد. بل أنهم أكثر من هذا يرون أن وجود**

(١) كي نقف على قدر العلامة أبي بكر الخلال ودوره في المذهب الحنبلي، نقرأ ما قاله الشيخ محمد أبو زهرة عنه، قال: " قد صرف عنايته إلى جمع علوم أحمد [ بن حنبل]، وسافر لأجلها وصنفها كتبًا، وقد حبب إليه رواية فقه أحمد، فنقل فقهه عن كل من رواه، وبذلك يعد الخلال الناقل لفقه أحمد من تلاميذه ". تاريخ المذاهب الإسلامية، جـ ٢، ص ٥٢٥، وعن مؤلفات الخلال انظر، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ ٢، ص ٣٣٨.

(٢) ابن مفلح، المقصد الأرشد، جـ ٢، ص ٣٧٧.

(٣) المقصد الأرشد، جـ ٢، ص ٣٧٧.

**مجتهد مستقل مطلق فرض كفاية لا يصح أن يخلو منه عصر"[١].**

**أقول، كان إذًا من حق الإمام أبي إسماعيل الترمذي أن يجتهد في المذهب، ولا ينكر عليه أحد في ذلك. وما الغرابة؛ وقد تربى على يد مؤسس المذهب الحنبلي؛ الإمام أحمد بن حنبل ـ كما سبقت الإشارة ـ. قال الترمذي عن نفسه: "سمعت أبا عبد الله يقول اللفظية جهمية، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢] فمن يسمع؟! [٣]، وقال عنه الفقيه أبي بكر الخلال: "هو رجل معروف ثقة كثير العلم ينفقه"[٤].**

**أو لعل مراد الخلال من هذا الكلام أن الترمذي نقل عن الإمام أحمد بن حنبل مسائل خالف فيها نقل الأصحاب الآخرين عنه، أو أنهم لم ينقلوها وكان وحده مَن نقلها ولم يشاركه من الأصحاب في نقلها أحد غيره.**

**وعلى كل؛ فمن خلال رحلته العلمية في الأمصار الإسلامية[٥]، استطاع أبو إسماعيل الترمذي أن يجمع علمًا غزيرًا، وأن يحظى بثقة العلماء. ولا بأس أن أسوق هنا بعض هذه الشهادات كي تطمئن قلوبنا إلى فقه وعلم هذا الرجل.**

**قال الخطيب البغدادي: "كان فهمًا، متقنًا، مشهورًا بمذهب**

---

(١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، جـ ٢، ص ٥٢٦.

(٢) سورة التوبة: آية (٦).

(٣) أبو يعلى، طبقات الحنابلة، جـ ١، ص ٢٨٠.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، جـ ٩، ص ٥٣.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ١٣، ص ٢٤٢.

**السُّـنَّة"[١]. وقـال النسـائي: "ثقـة"[٢]. وقـال الـذهبي: "صـدوق مشـهور بالطلب"[٣]. وقال الدارقطني: "ثقة صدوق"[٤]، وذكره ابن حبان في كتابه "الثقات" ووثقه[٥]. وقال الحاكم النيسابوري: "ثقة مأمون"[٦]. وقال الذهبي – أيضًا – "انبرم الحال على توثيقه وإمامته"[٧]. كما أثنى عليه السمعاني في كتابه "الأنساب"[٨] وروى عنه الإمامان: أبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي في صحيحيهما[٩].**

**هذه شهادات بعض أهل العلم في الإمام أبي إسماعيل الترمذي، تتفق جميعها على توثيقه، وعلو مكانته، وشدة فهمه.**

**ذاع صيت الإمام الترمذي في أرجاء العالم الإسلامي، فأقبل الناس عليه، ينهلون من علمه. فمن أشهر تلامذته: قاسم بن أصبغ[١٠] عالم بلاد الأندلس، الذي رحل للسماع من الإمام، وأبو عيسى الترمذي، وأبو عبد**

(١) تاريخ بغداد، جـ ٢، ص ٤٢.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، جـ ٩، ص ٥٣.

(٣) تاريخ الإسلام، جـ ٢٠، ص ٤٣٨.

(٤) السيوطي، طبقات الحفاظ، جـ ١، ص ٥١.

(٥) جـ ٩، ص ١٥٠.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، جـ ٩، ص ٥٣.

(٧) سير أعلام النبلاء، جـ ١٣، ص ٢٤٢.

(٨) جـ ١، ص ٤٦١.

(٩) الذهبي، محمد بن أحمد، الكاشف في مَن له رواية في الكتب الستة، تحقيق محمد عوامة، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، جـ ٢، ص ١٥٨، وابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، جـ ٢٢، ص ٣٠٦.

(١٠) ابن الجزري، طبقات القراء، جـ ١، ص ٣٢٣.

**الرحمن النسائي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو بكر النجار[١]، وغيرهم من أهل العلم[٢]، المشهود لهم بالفضل.**

**أما عن مُصَنَّفات الإمام أبي إسماعيل الترمذي، فهي كثيرة. قال الذهبي: "وعنى بهذا الشأن [ الفقه والحديث ] وجمع وصَنَّف"[٣]، وقال في موضع آخر: "رحل، وطوَّف، وجمع، وصَنَّف"[٤]، وقال كحالة: "محدث، حافظ، مُصَنِّف"[٥].**

**ومع إجماع المؤرخين على أنه ألف وصَنَّف، غير إنه لم يصلنا شيء من هذه المُصَنَّفات، ولعلها فُقدت مع ما فُقد من تراثنا الإسلامي.**

**عاش الإمام الترمذي إلى جانب الإمام أحمد بن حنبل، تعلم منه، وتربى على يديه، فنهل من علمه وفقهه، واجتهد في مذهبه. وكما كان رفيقًا له في الدنيا، فقد كان رفيقًا له في مقبرته ببغداد[٦]. توفى الإمام الترمذي في رمضان سنة [ ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ][٧].**

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ ٢، ص ٤٢، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، جـ ٥٢، ص ١١٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب، جـ ٩، ص ٥٣، السيوطي، طبقات الحفاظ، جـ ١، ص ٥١.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، جـ ٢، ص ٢٧.

(٣) سير أعلام النبلاء، جـ ١٣، ص ٢٤٢.

(٤) تاريخ الإسلام، جـ ٢٠، ص ٤٣٨.

(٥) معجم المؤلفين، جـ ٩، ص ٦٢.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ ٢، ص ٤٢٢، السمعاني، الأنساب، جـ ١، ص ٤٦١.

(٧) خالف أبو يعلى إجماع المؤرخين، فذكر أنه توفى سنة [ ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ]، ولعله سهو، أو خطأ في الطباعة، انظر: طبقات الحنابلة، جـ ١، ص ٢٧٨.

وختامًا، إن الرحلة العلمية بين مصر وبلاد ما وراء النهر في علم الفقه، كانت قوية على مستوى المذهبين الحنفي والشافعي، قليلة على مستوى المذهبين المالكي والحنبلي، ولعل ذلك يرجع إلى أن مصر كان لها اتصال قويٌ بالحجاز منذ الفتح الإسلامي؛ لأنها كان مركز الخلافة أيام الخلفاء الراشدين، ثم دام الاتصال بالرحلة إلي الحج، وزيارة مسجد الرسول (ﷺ). فمن ثم كان مذهب الإمام مالك بن أنس أول ما صادفه المصريون من تلك المذاهب، فأقبلوا عليه ولم يكونوا يعرفون غيره. وذلك على عكس بلاد ما وراء النهر، التي كان لها اتصال قوي بمركز الخلافة ببغداد، ومن المعروف أن بغداد عقب تأسيسها كانت مركزًا للمذهب الحنفي. ومن ثم فقد عملوا على نشر مذهبهم في العراق والأمصار القريبة منه، مثل خراسان وبلاد ما وراء النهر.

# الخاتمة وأهم نتائج البحث

**هذه خاتمة أحاول أن أبلور فيها أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث، وهي:**

**أولًا: أن الرحلة العلمية من بلاد ما وراء النهر إلى مصر في مجال الفقه الحنفي كانت قليلة جدًا، وذلك لأن المذهب الحنفي كان – وما زال – هو المذهب الغالب في بلاد ما وراء النهر [آسيا الوسطى حاليًا] وقد أحصيت فقهاء الأحناف في بلاد ما وراء النهر – خلال فترة البحث – من مصادر الأحناف أنفسهم، من أمثال: الطبقات السنية، والجواهر المضية، وتاج التراجم، وغيرها . فوصل عددهم إلى أربعة وسبعين فقيهًا حنفيًا، رحل منهم إلى مصر ثلاثة فقهاء فقط، وهذا عدد قليل جدًا. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى انتشار المذهب الشافعي في مصر على حساب المذهب الحنفي، فمن ثم؛ قلت رحلة الفقهاء الأحناف إلى مصر.**

**ثانيًا: أن إقليم بخارى قد احتل المركز الأول في رحلة فقهاء الأحناف إلى مصر. فاثنان من هؤلاء الفقهاء؛ وهما: إبراهيم بن معقل النسفي، وأبو أحمد البخاري، جاءا من بخارى. على حين كان الفقيه الثالث أبو يعقوب الشاشي، من إقليم الشاش وهو الوحيد الذي استقر في مصر ودفن بها.**

**ثالثًا: أن الفقه الحنفي ـ كان ـ قد تضخم ونما بالاستنباط والتخريج نموًا عظيمًا، وذلك لأنهم عنوا باستنباط علل الأحكام، وتطبيقها على ما يجد من الوقائع في العصور. ومع ذلك فلم يقدم لنا علماء بلاد ما وراء النهر مُؤَلَفًا هامًا في الفقه الحنفي، أستطيع من خلاله القول: إنه أثرى الحياة**

العلمية بين البلدين، أو أنه قدم لنا جديدًا في فروع الفقه الحنفي.

رابعًا: أن عدد فقهاء الشافعية الذين رحلوا من بلاد ما وراء النهر إلى مصر، أكثر من فقهاء الأحناف والمالكية، والحنابلة، وهذا يعني أن مصر كانت قلعة الفقه الشافعي، فمَن أراد أن يتفقه في هذا المذهب فعليه بالسفر إليها، دون غيرها من باقي أمصار العالم الإسلامي.

خامسًا: أن علماء الشافعية الذين رحلوا إلى مصر، كانوا – تقريبًا – من جميع أنحاء بلاد ما وراء النهر [ترمذ – فارياب – فرغانة – بيكند] هذا إذا استثنينا الفقهاء الذين جمعوا في رحلتهم بين البلدين، ومنها [مرو – جرجان – هراة – نسا].

سادسًا: أن معظم هؤلاء الفقهاء لم يصلوا إلى مرحلة الاجتهاد المطلق في فروع الفقه الشافعي، وذلك باستثناء أبي جعفر الترمذي. أما باقي الفقهاء فكانت النزعة الحديثية هي الغالبة عليهم، لذا قل اجتهادهم في فروع المذهب.

سابعًا: لم يسهم المذهب الحنبلي – والحق يقال – في إثراء الحياة العلمية بين مصر وبلاد ما وراء النهر، وذلك لأنني استقصيت علماء الحنابلة – من خلال كتب الطبقات، والمصادر التاريخية – في بلاد ما وراء النهر، فوجدتهم ما يقرب من خمسة عشر عالمًا. لم يدخل مصر منهم سوى عالِمين فقط. ولعل ذلك يرجع إلى غلبة المذهب الشافعي في مصر، ومن ثم فقد فضلوا الذهاب إلى بغداد، ليكونوا بجانب مؤسس المذهب.

ثامنًا: أن تلامذة الإمام أحمد بن حنبل يتحملون جزءًا كبيرًا من المسؤولية حول عدم انتشار المذهب الحنبلي في بلاد ما وراء النهر. حيث

**لم يعودوا إلى أوطانهم لنشر مذهبهم بين طلاب العلم، كي ينتشر انتشار المذهبين الحنفي والشافعي. ولعلهم فضلوا البقاء إلى جانب مؤسس المذهب في بغداد؛ حاضرة الحنابلة حينذاك.**

**تاسعًا: لم يصلنا مصنفٌ فقهي واحد لفقيه حنبلي من بلاد ما وراء النهر، ولعلهم اكتفوا بتعليم الناس، أو غلب عليهم علم الحديث. ولا غرابة في ذلك، فإن الإمام أحمد بن حنبل (نفسه) كان محدثًا قبل أن يكون فقيهًا، ومن ثم فقد ترك لنا "مسندًا" في الحديث، ولم يترك لنا كتابًا في الفقه الحنبلي.**

# الملاحق

## ملحق رقم (١)

## خريطة توضح رحلة فقهاء بلاد ما وراء النهر إلى مصر

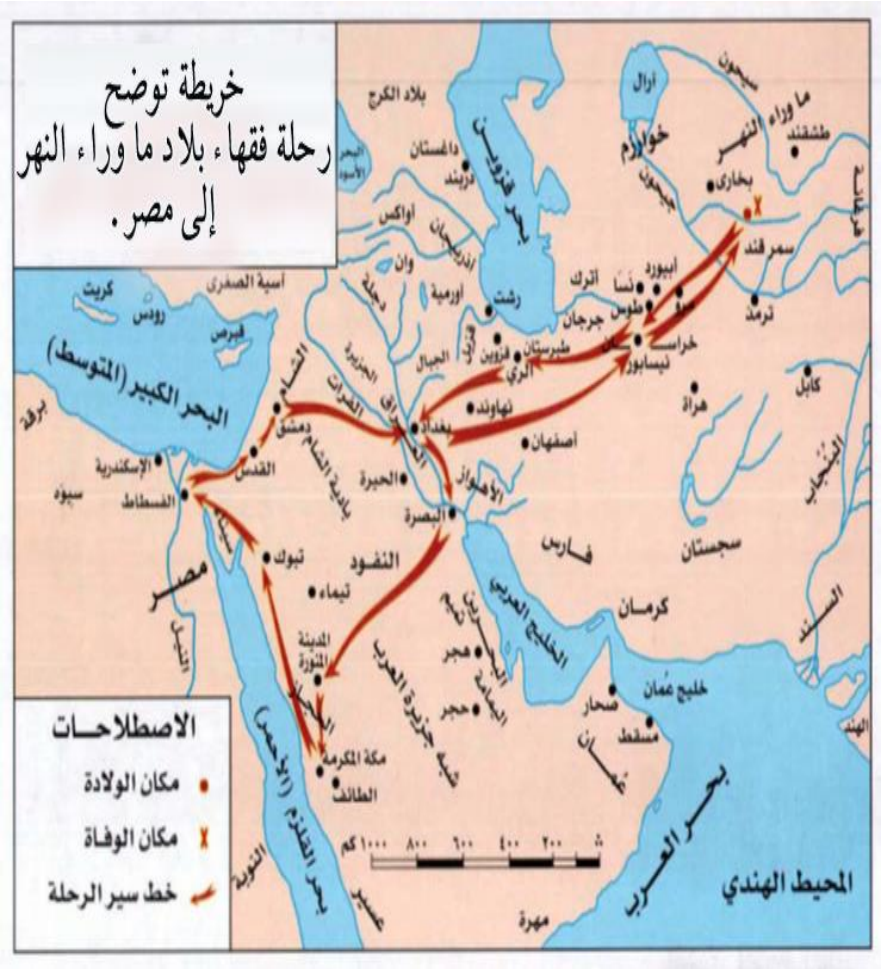

## ملحق رقم (٢)

## قائمة تفصيلية بأسماء فقهاء بلاد ما وراء النهر

## الذين رحلوا إلى مصر خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة

## مرتبة على حسب المذهب الفقهي

| م | الاسم | المذهب الفقهي | مكان المولد | سنة الوفاة |
|---|---|---|---|---|
| ١ | إبراهيم بن معقل بن محمد بن الحجاج بن خداش. | فقهاء الأحناف | نسف | [ ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م ] |
| ٢ | نبهان بن إسحاق بن مقداس البسكاسي. | | بخارى | [ ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ] |
| ٣ | إسحاق بن إبراهيم. | | الشاش | [ ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م ] |
| ٤ | جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض. | فقهاء المالكية | فارياب | [ ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ] |
| ٥ | محمد بن جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض. | | فارياب | لم تذكر المصادر تاريخ وفاته |
| ٦ | محمد بن أحمد بن نصر. | فقهاء الشافعية | ترمذ | [ ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م ] |
| ٧ | محمد بن عقيل الفريابي. | | فارياب | [ ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م] |
| ٨ | عوف بن عيسى بن ينفرن بن يرت بن شفردان. | | فرغانة | لم تذكر المصادر تاريخ وفاته |
| ٩ | أحمد بن علي بن عمرو السليماني. | | بيكند | [٤٠٤ هـ / ١٠١٤م] |
| ١٠ | أحمد بن الحسن بن جُنَيْدْب. | فقهاء الحنابلة | ترمذ | [ ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م ] |
| ١١ | محمد بن إسماعيل بن يوسف. | | ترمذ | [ ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ] |

# قائمة المصادر والمراجع

## أولًا: المصادر العربية:


١- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، ابن ماكولا: ( علي بن هبة الله بن أبي نصر، المتوفى في عام: ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م)، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٠م.

٢- الأنساب، السمعاني: ( عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، المتوفى في عام: ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٨م.

٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي: ( شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى في عام: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م )، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، لبنان، ١٩٩٣م.

٤- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض: ( أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، المتوفى في عام: ٥٤٤هـ /١١٤٩م)، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٨م.

٥- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي: ( عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم، المتوفى في عام: ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، دار هجر للطباعة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ابن فرحون( المالكي،

المتوفى في عام: ٧٩٩هـ /١٣٩٦م)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط١، دار التراث للطبع والنشر، مصر، ١٩٧٦م.

٧- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ( شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى في عام: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م )، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٩٨٥م.

٨- طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى الحنبلي: ( أبو الحسن بن أبي يعلى محمد بن محمد، المتوفى في عام: ٥٢٦هـ/ ١١٣١م)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١، دار المعرفة، لبنان، [ بدون ـ تاريخ ].

٩- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، الغزي: ( تقي الدين بن عبد القادر التميمي الحنفي، المتوفى في عام: ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م )، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، دار الرفاعي للنشر، الرياض، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٠- طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة: ( أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، المتوفى في عام: ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م ): تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م.

١١- طبقات الشافعية، الأسنوي: ( جمال الدين عبد الرحيم، المتوفى في عام: ٧٧٢ هـ/ ١٣٣١م ): تحقيق كمال يوسف الحوت، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

١٢- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي: (تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، المتوفى في عام: ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، تحقيق: د. محمود

محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، دار هجر للطباعة، القاهرة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

١٣– طبقات الشافعية، ابن كثير: (عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي، المتوفى في عام: ٧٧٤ م/١٣٦٤ م)، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ط ١، دار المد الإسلامي، ليبيا، ٢٠٠٢ م.

١٤– طبقات الفقهاء، الشيرازي: (أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، المتوفى في عام: ٤٧٦ هـ/١٠٨٣م)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠ م.

١٥– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله)، ط١، دار إحياء التراث العربي، لبنان، [بدون ـ تاريخ].

١٦– المتفق والمفترق، الخطيب البغدادي: (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، المتوفى في عام: ٤٦٣ هـ/ ١٠٣٧م)، دراسة وتحقيق: د. محمد صادق الحامدي، ط ١ دار القادري، بيروت، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

١٧– المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ابن مفلح: (برهان الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد، المتوفى في عام: ٨٨٤ هـ/١٤٧٩م)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠ هـ. ١٩٩٠ م.

## ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

١٨– بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، د. محمود محمد خلف، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٤م.

**١٩- تاريخ التراث العربي، د. فؤاد سزكين، ترجمة: محمود فهمي حجازي و آخرون، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٩٩١م.**

**٢٠- تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخضر حسين، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٨م.**

**٢١- تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ط١، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٩٦م.**

**٢٢- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٢م.**

**٢٣- الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر بين حقائق المؤرخين وأوهام المستشرقين، د. محمود محمد خلف، ط١، دار المعارف، مصر، ٢٠١٥م.**

**٢٤- فجر الإسلام، أحمد أمين، ط٩، النهضة المصرية، مصر، ١٩٦٤م.**

**٢٥- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، بارتولد، فاسيلي فلاد يميروفتش، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٦ م.**

# فهرس الموضوعات

مُلْخَّصُ الْبَحْثِ ..... – ١٣ –
المقدمة ..... – ١٤ –
التمهيد ..... – ١٨ –
المبحث الأول: فقهاء الأحناف ..... – ٢٤ –
المبحث الثاني: فقهاء المالكية ..... – ٣٠ –
المبحث الثالث: فقهاء الشافعية ..... – ٣٨ –
المبحث الرابع: فقهاء الحنابلة ..... – ٤٨ –
الخاتمة وأهم نتائج البحث ..... – ٦٠ –
الملاحق ..... – ٦٣ –
قائمة المصادر والمراجع ..... – ٦٥ –
أولًا: المصادر العربية: ..... – ٦٥ –
ثانيًا: المراجع العربية والمعربة: ..... – ٦٧ –
فهرس الموضوعات ..... – ٦٩ –